

# اكتبوا للأطفال

للأديب محمد سعيد كيلاني

الشبان عندنا منصرفون عن كتب الأدب ، وفيها زاهدون بل إن طلبة الجامعة ينظرون شزراً إلى قسم اللغة العربية ، ويركبونه - غفر الله لهم - بالدعابة والسخرية . ولا غرابة في ذلك فإننا لم ننشئهم تنشئة تطبعهم على احترام لغتنا القومية ، وحب هذا التراث القيم من نظم ونثر . أجل لقد أهملنا ترقية عقول أطفالنا إهمالاً شنيعاً في حين أن الأمم الأوربية اهتمت بهذا النوع من التأليف وأنقذت في سبيل ذلك أموالاً طائلة .

١ - فرنسا :

وكانت فرنسا أسبق هذه الأمم إلى إخراج كتب للأطفال . ففي القرن السابع عشر جلس على عرش تلك البلاد الملك العظيم لويس الرابع عشر .

وفي عصره ظهر عدد كبير من الكتاب والشعراء ، وألفت مسرحيات رائعة ، ونهض غير واحد من الكتاب بالتأليف للأطفال ، ونخص بالذكر منهم « بيرو » الشاعر المروف والمضو بالأكاديا الفرنسية ، فقد أخرج بعض القصص بأسلوب سهل وعبارة جذابة ، بيد أنه استنكف أن ينسبها إلى نفسه فتحلها ابنه . ثم أخرج مجموعة « أفاسييس وحكايات الزمان الماضي » باسمه هو لا باسم ابنه كما فعل من قبل .

ومضى بعد وفاة « بيرو » زمن طويل لم يمت فيه أحد بإخراج شيء من أدب الأطفال حتى جاء القرن الثامن عشر فظهرت « لبرنس دي بومون » وكانت تراول تعليم الأطفال في فرنسا فكتبت عدداً عظيماً من القصص ، ولعل من أهمها قصة « مخزن الأطفال » ولكنها لم ترزق خيالا واسماً ولا أسلوباً قوياً ، فلا يجب أن اندثرت حكاياتها ولم يبق منها شيء يذكر . وفي ذلك القرن ظهر « جان جاك روسو » ونشر آراءه في

تعليم الأطفال وتربيتهم فأمن بها كثيرون في فرنسا وغيرها من البلدان . فقامت « مدام دي جنلس » ( ١٧٤٦ - ١٨٣٠ ) بتأليف كتب كثيرة للأطفال . وكانت تسير في تعليمهم على مبادئ « روسو » . ولم تمن بتربية الخيال عندهم ولكنها حرصت حرصاً شديداً على سلامة أخلاقهم .

وظهر بين عامي ( ١٧٤٧ - ١٧٩١ ) أديب كبير منح الأطفال قسطاً كبيراً من عنايته فأنشأ لهم صحيفة خاصة بهم أطلق عليها « صديق الأطفال » وقد عرف هو نفسه بهذا اللقب . وامتاز بأسلوب في متعى السهولة واللين . ولم يكنف بما في لغة بلاده بل نقل كثيراً مما ورد في لغات الأمم الأخرى . وبهذا استطاع أن يسد فراغاً كبيراً ، وأن يشبع رغبة الصغار في القراءة ولم تشرق شمس القرن التاسع عشر حتى كثر عدد الكتاب الذين زاولوا هذا النوع من التأليف .

وفي القرن العشرين بلغ عدد ما يطبع سنوياً من قصص الأطفال بضعة ملايين ، كما أن الصحف الخاصة بهم كثرت وانتشرت في كل مكان .

٢ - في إنجلترا :

وينبغ على الظن أن العناية بكتب الأطفال في إنجلترا بدأت بعد ظهورها بفرنسا . فأنشأ « نيوبوري » مكتبة خاصة للأطفال حوت كثيراً من الكتب التي تستهوي أفئدتهم ، ومن بينها قصص ألفت عن خرافات المصور الوسطى . ولما سرت تعاليم « روسو » و « لوك » وغيرهما من المفكرين إلى بلاد الإنجليز تأثر بها كتابهم إلى أبعد حد . ولا شك في أن « توماس داي » كان من أعظم كتاب الإنجليز تأثراً بتعاليم « جان جاك روسو » وقد ألف للأطفال قصة دهاها « ستانفورد ومرتون » تدور حول غلام سمي الأطلاق والتربية يدعى « توماس مرتون » وهو من أب إنجليزي هاجر إلى الهند وأرى ثراء عظيماً . ولما رجع إلى بلاده نشأت صداقة بين ابنه هذا وبين ابن أحد جيرانه وهو « هاري ستانفورد » وكان حسن الأخلاق طيب التربية بفضل تعاليم قس القرية « المستر بارلو » ولما فطن والد « توماس » إلى

كل اهتمام . وامتازت قصصهم بخيال خصب ، ترى عليها مسحة من المزل والطرافة ، ولوناً من الحزن يقربها إلى النفس . وعن برع من كتاب أهل الشمال في هذا الباب الأديب الفنلندي « أندرسن » الذي ولد عام ١٨٠٥ وتوفي عام ١٨٧٥ . ومن خير كتبه التي أخرجها للأطفال قصة « ملكة الثلج »

ولم يقصر أهل الجنوب في هذا الميدان ، بل أعطوه قسطاً كبيراً من عنايتهم . وقد كان لقصص الأطفال أكبر تأثير في العمل على وحدة كل من إيطاليا وألمانيا . وامتازت قصص أهل الجنوب بالدرس والتحليل والبحث والتحجيس ، وتحكيم المنطق في كثير من الأمور ، فلم يكن للخيال عندهم نصيب مذكور .

٤ — في الشرق :

أما في الشرق فلم يكن أحد بالاتجاه في هذه الناحية وذلك لتفشي الأمية وعدم العناية بتثقيف النشء . وبقيت هذه الحال حتى عام ١٩٢٨ إذ قام في مصر الأديب المعروف الأستاذ كامل كيلاني فأوقف مجهوده ووقته لخدمة الأطفال فأخرج في ذلك العام قصة « جوليفر » في أسلوب سهل وضبطها بالشكل وحلاها بكثير من الصور فصادفت رواجاً كبيراً شجعه على نقل غيرها من روائع الغرب . ثم اتجه هذا الأديب إلى ما ورد في اللغة العربية من نفاث القصص فبسطها وحذف منها ما لا يتفق مع عقليات الأطفال وأذواقهم فبدت شائعة جذابة ، وانتشرت في أنحاء الشرق العربي كما ترجمت إلى جميع اللغات الشرقية وبعض اللغات الأوربية . وعلى هذا يمكننا أن نقول إن الأستاذ كامل كيلاني قد سد فراغاً كبيراً كان من الضروري أن يسد ، ووضع أساساً صالحاً لأن نشيد فوقه بناء لا يتطرق إليه الخلال .

فما لا شك فيه أن أدباءنا الذين حصروا أنفسهم في الأدب العالي قد شيّدوا الجدران والسقف قبل أن يضعوا الأساس . وهذا هو السر في إعراض شباننا عن قراءة كتب الأدب وانصرافهم إلى الروايات التافهة الساقطة التي تنقل عن الغرب .

محمد سبير كييلوني

حقيقة الأمر ناط بهذا القس تلميذ ابنه وتهذيبه . فنتج عن هذا أن أصبح الصبي « توماس » صالحاً لا عوج في أخلاقه .

وظهر بعد « توماس داي » كتاب كثيرون منهم « دي فو » مؤلف قصة « روبنسن كروزو » التي نالت شهرة واسعة ونقلت إلى جميع لغات العالم وقام في كثير من البلاد الأوربية من قلدتها ونسج على منوالها .

ولد « دي فو » سنة ١٦٦٠ وتوفي سنة ١٧٣١ واشتغل بالتجارة ولكنه أصيب بالفشل . واشتغل بغير التجارة فصادفه الإخفاق التام . وكان مشغولاً بالسياسة فأصدر في عام ١٧٠٣ نشرة أغضبت ملك الإنجليز فأمر بالقضاء القبض عليه ومحاكته . وأخيراً اضطر إلى مغادرة لندن والالتجاء إلى الريف . وهناك كان يقضى وقته في الكتابة والتأليف . وفي سنة ١٧١٩ أخرج هذه القصة الشهيرة .

ثم ظهرت قصة رائدة أخرى وهي « أسفار جوليفر » لمؤلفها « سويفت » وكان هذا الكاتب فقيراً جداً . وحاول أن يشتغل بالسياسة ولكنه لم يفلح فاضطر إلى الرجوع إلى موطنه الأول أيرلندا وفي سنة ١٧٢٩ أخرج هذه القصة في أسلوب مشرق الديباجة .

ثم تابعت قصص الأطفال في إنجلترا . ومن أشهرها « أليس في بلاد المجائب » لمؤلفها « لويس كارول » (١٨٦٥) و « بيزيان » (٢٦ ديسمبر ١٩٠٤) وغيرهما مما لا يتسع المجال لذكره . وظهرت صحف يخطبها المدللون للأطفال دون سواهم . وقد ساهم في تحريرها الأطفال من الأمراء والنبلاء .

٣ — في الأمم الأخرى :

وقد تسابقت الأمم الغربية الأخرى في هذا المضمار وقطعت فيه شوطاً بعيداً . فأنشأت أمريكا مكاتب عامة للأطفال ووكلت إدارتها إلى فريق منهم . وتطبع في أمريكا ملايين القصص في كل عام ، وتصدر مئات الصحف التي يشرف عليها الأطفال وتدبجها أقلامهم .

واهتمت فنلندا وغيرها من أمم شمال أوروبا بأدب الأطفال